نزهة الجالس

في فوائد أدعية ختام المجالس

الشيخ الدكتور أبو عبدالرحمن

سمير بن أحمد الصباغ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

نزهة الجالس

في فوائد أدعية ختام المجالس

كتبه الفقير إلى عفو ربه الشيخ الدكتور

سمير بن أحمد عبد الخالق الصباغ

حقوق الطبع مبذولة لعموم المسلمين

١٤٤٧هـ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمدَ لله، نحمَدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفُسِنا، وسيِّئات أعمالِنا، مَن يهدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضلِلْ فلا هاديَ له، وأشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهَدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أمَّا بعدُ: فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ نبينا محمد ﷺ، وكلَّ مُحدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالة، وكلَّ ضلالةٍ في النار.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فمِن أهمِّ آداب المجالسِ الإكثارُ مِن ذكر الله عز وجل، والصلاةُ والسلامُ على رسولِه ﷺ، وإلا كانت هذه المجالسُ حسرةً على أصحابها يومَ القيامة، ثم إنهاؤُها بدعاءِ ختامِ المجالسِ الذي علَّمَنا إياه رسولُ الله ﷺ.

وللذكر فوائدُ كثيرةٌ، نكتفي من ذلك بذكر حديثٍ واحدٍ، ألا وهو قولُ النبيِّ ﷺ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالوَرِقِ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ**». قالوا: بلى. قال: «**ذِكْرُ اللهِ تَعَالَى**»[1].

فيكفي الذِّكرَ شرفًا أنَّه خيرُ الأعمالِ وأزكاها عندَ اللهِ تعالى.

وهذه رسالةٌ موجزةٌ في بعضِ الفوائدِ المستفادةِ من أدعيةِ ختامِ المجالسِ الواردةِ عن النبيِّ ﷺ، ونسألُ اللهَ أن يُوفِّقَنا للعلمِ النافعِ، والعملِ الصالحِ، وحسنِ الخواتيم.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٠٧٩)، والترمذي (٣٣٧٧).

الحديث الأول:

عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسولُ ﷺ: «**مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لَا يَذْكُرُونَ اللهَ فِيهِ، إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ، وَكَانَ لَهُمْ حَسْرَةً**»(١).

فالذين يقومون عن مجلسٍ فيه جيفةُ حمارٍ لا يحصُلُ لهم إلا المنظرُ الكريهُ، والرائحةُ المنتِنةُ، وهكذا مَن يقومون مِن مجلسٍ لم يُذكَرِ اللهُ فيه، فلا يقومون إلا بباطلٍ من الأقوالِ والآثامِ من الأعمالِ التي تُورِثُ الحسرةَ والندامةَ.

فقد أخبَرَ النبيُّ ﷺ أنه مَن جلَسَ مَجلِسًا- سواءٌ كان فردًا أو جماعةً- ولم يَذكُرِ اللهَ عز وجل إلا قامَ منه عن مثلِ قومٍ اجتمعوا على جيفةِ حمارٍ ميِّتٍ في النَّتْنِ والقذارةِ، وقد أكلوا منه، وذلك بسببِ انشغالِهم بالمباحات عن ذكرِ اللهِ، وكان هذا المجلسُ الذي جلَسَه الإنسانُ بغيرِ ذكرٍ للهِ حَسْرةً وندامةً عليه يومَ القيامةِ، فما بالُنا

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٥٥)، وصححه الألباني.

لو كان المجلسُ مشوبًا بالمعاصي كالغِيبةِ، والنَّميمةِ، والبُهتانِ، والسبِّ، والقذفِ، والشتمِ، وشربِ المُخدِّراتِ، وسماعِ الغناءِ والموسيقى، ومشاهدةِ الأفلامِ والمسلسلاتِ، والنظرِ إلى المحرَّماتِ كالممثلين والممثلاتِ، والراقصين والراقصاتِ، والمغنيين والمغنياتِ، والعُراةِ والزناةِ، وغير ذلك؟!

فلا شكَّ أنها مجالسُ زورٍ، وتكونُ حسرةً وخزيًا وندامةً على أصحابِها في الدنيا والآخرةِ إن لم يتوبوا إلى اللهِ، ويتغمَّدْهم اللهُ برحمتِه.

يستفادُ من هذا الحديث:

١- التحذيرُ من الغفلةِ عن ذكرِ اللهِ في كلِّ وقتٍ، وفي كلِّ مجلسٍ، سواءٌ كان الإنسانُ بمفردِه، أو معه غيرُه.

٢- التحذيرُ من ذنوبِ الخَلَوات؛ فإنها سببٌ في ذَهابِ الحسناتِ، وحسرةِ السيئاتِ؛ لقولِ النبيِّ ﷺ: «**لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا**

اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا». قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللهِ، صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا أَلَّا نَكُونَ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ. قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ؛ وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللهِ انْتَهَكُوهَا**»[(١)].

٣ـ التحذيرُ مِن صُحبةِ الأشرارِ وحضورِ مجالسِ الزُّورِ، فصحبةُ الأشرارِ لا تجلِبُ لصاحِبِها إلا الشرَّ والفسادَ في الدِّينِ والأخلاقِ والمعاملات، وحضورُ مجالسِ اللغوِ والمعاصي لا تجلِبُ لصاحبِها إلا الحسرةَ والنَّدامةَ في الدنيا والآخرةِ.

٤ـ النفسُ إذا لم نشغَلْها بالطاعةِ شغَلَتنا بالمعاصي والوساوسِ المحرَّمةِ.

٥ـ مَن ترَكَ الحقَّ ابتُلِي بالباطلِ، فمن غفَلَ عن الذِّكرِ وترَكَ صُحبةَ الصالحين والعلماءِ، ابتُلِيَ بشياطينِ الإنسِ والجنِّ، يُؤزُّونَه على المعاصي أزًّا، ويُهلِكون عُمُرَه وشبابَه وصحَّتَه ومالَه وفراغَه

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٢٤٥)، وصححه الألباني.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

في معصيةِ اللهِ، ويومَ القيامةِ يتبرأُ بعضُهم من بعضٍ، ويُعادي بعضُهم بعضًا، قال الله تعالى: {ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾} [الزخرف:٦٧]، وقال تعالى: {إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾} [البقرة:١٦٦-١٦٧].

٦- التحذيرُ مِن كلِّ ما يُورِثُ الندمَ في القيامةِ، سواءٌ كان بسببِ الوقوعِ في المعاصي، أو بسببِ عدمِ الاستكثارِ من الصالحاتِ التي يبلُغُ بها العبدُ أعلى المقاماتِ، فكثيرٌ مِن الناسِ يقولُ يومَ القيامةِ: {يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾} [الفجر:٢٤]، ويقول: {يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾} [الفرقان:٢٧-٢٩]، وبعضُهم يقولُ: {مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾} [الحاقة:٢٨-٢٩]، وبعضُهم يقولُ: {يَٰلَيْتَنِى كُنتُ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تُرَابًا ﴿٤٠﴾} [النبأ:٤٠]، وبعضُهم يقولُ عند موتِه: {رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ نُّجِبۡ دَعۡوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ أَوَ لَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ ﴿٤٤﴾} [إبراهيم:٤٤]، وبعضُهم يقولُ: {رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾} [المنافقون:١٠].

وكلُّها حَسَراتٌ لا تُجدِي ولا تُفيد؛ لأنها بعدَ فواتِ الأوانِ.

ولذلك قال النبيُّ ﷺ: «**مَنْ قَعَدَ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ تِرَةٌ، وَمَنْ اضْطَجَعَ مَضْجَعًا لَا يَذْكُرُ اللهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ تِرَةٌ**»[1]؛ أي: حسرةً وندامةً.

وفيه استحبابُ ذِكرُ اللهِ في جميعِ الأحوالِ؛ حَذرًا من أن تكونَ المواضِعُ والمجالِسُ تِرَةً وحَسْرةً وندامةً عليه يومَ القيامةِ.

وقال ﷺ: «**مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ**»[1].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٥٦)، وحسنه الألباني.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهذا يدُلُّ بظاهرِه على وجوبِ الذِّكرِ في كلِّ مجلسٍ؛ لأن العذابَ لا يكونُ إلا عن ذنبٍ، إما بتركِ واجبٍ أو بفعلِ مُحرَّمٍ[٢].

وقال النوويُّ في «المجموع»: يُكرَهُ لمَن قعَدَ في مكانٍ أن يُفارِقَه قبلَ أن يَذكُرَ اللهَ فيه[٣].

الحديث الثاني:

روى أبو داودَ عن أبي بَرْزةَ الأسلميِّ ﷺ، قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، يَقُولُ بِأَخَرَةٍ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ مِنَ الْمَجْلِسِ: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ**». فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ لَتَقُولُ قَوْلًا مَا كُنْتَ تَقُولُهُ فِيمَا مَضَى؟ فَقَالَ: «**كَفَّارَةٌ لِمَا يَكُونُ فِي الْمَجْلِسِ**»[٤].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٨٠) وصححه الألباني.

(٢) انظر: «دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين» لابن علان الشافعي (٦/ ١٢٧).

(٣) انظر: «المجموع» للنووي (٤/ ٤٧٧،٤٧٨)، و«مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٨/ ٣٧).

(٤) أخرجه أبو داود (٤٨٥٩)، وحسنه الألباني.

الحديث الثالث:

روى النَّسائيُّ عن عائشةَ ﵂: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا جَلَسَ مَجْلِسًا أَوْ صَلَّى تَكَلَّمَ بِكَلِمَاتٍ، فَسَأَلَتْهُ عَائِشَةُ عَنِ الْكَلِمَاتِ، فَقَالَ: «**إِنْ تَكَلَّمَ بِخَيْرٍ كَانَ طَابِعًا عَلَيْهِنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنْ تَكَلَّمَ بِغَيْرِ ذَلِكَ كَانَ كَفَّارَةً لَهُ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ**»[(١)].

- «**أَشْهَدُ**»؛ أي: أقِرُّ بقلبي ناطقًا بلساني ممتثلًا بجوارحي.

- «**مَا كَانَ فِي مَجْلِسِه ذَلِكَ**»؛ أي: مِن الذنوبِ مِن غيرِ مظالمِ العبادِ.

- «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ**»؛ أي: أُنزِّهُكَ يا ربِّ عمَّا لا يليقُ بجلالِكَ، فأُنزِّهُكَ عن كلِّ عيبٍ، ونقصٍ، ومشابهةِ المخلوقين، وعن الزوجةِ، والولدِ، والشريكِ، والمثيلِ، والنظير، وأُقدِّسُكَ وأُعظِّمُك حقَّ تعظيمِك، ويكونُ هذا التنزيهُ مقرونًا بحمدِكَ.

---

(١) أخرجه النسائي (١٣٤٤)، وصححه الألباني.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ـ «**وَحَمِدَ اللهَ تَعَالَى**»: هو الثناءُ عليه بما هو أهلُه، وتمجيدُه، وتحميدُه، وشكرُه على ذاتِه، وأسمائِه، وصفاتِه، وأفعالِه، ونعَمِه، وآلائِه.

ـ «**أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**»: أُقِرُّ بأنَّك أنتَ اللهُ الواحِدُ الأحَدُ، الفردُ الصَّمَدُ، المُستحِقُّ للعبادةِ، فـ«لا إلهَ إلا اللهُ» معناها: لا معبودَ بحقٍّ إلا اللهُ.

ـ «**أَسْتَغْفِرُكَ**»: أطلُبُ منك المغفرةَ والعفوَ والسترَ لذنوبي وخطاياي، وأتوبُ إليكَ من كلِّ معصيةٍ وقَعَتْ منِّي في هذا المجلسِ، فإذا دعا بهذا الدُّعاءِ بصدقٍ وإخلاصٍ ورجاءٍ وخشيةٍ مِن اللهِ غفَرَ اللهُ له، ومحا عنه ما وقَعَ منه في مجلسِه وعفا عنه.

من فوائد هذا الحديث:

١ـ فضلُ هذا الذِّكرِ في ختامِ المجالسِ؛ إذ إنه من رحمةِ اللهِ بعبادِه إذا حصَلَ منهم لغَطٌ ثم ختموا كلامَهم بهذا الدعاء ستَرَهم اللهُ، وعفا عنهم، وغفَرَ لهم.

٢ـ استحبابُ ختامِ المجالسِ بهذا الذِّكرِ المشتمِلِ على إقرارِ العبدِ بضَعفِ نفسِه وذُلِّه لربِّه، وأنه لا غِنَى له عن اللهِ طَرْفةَ عينٍ، وأنه لا يَرحَمُه ولا يُنجِّيه إلا اللهُ.

٣ـ وجوبُ تنزيهِ اللهِ تعالى عن العيوبِ والنقائصِ ومشابهةِ المخلوقين.

٤ـ إثباتُ الألوهيةِ للهِ الواحدِ القهارِ، فلا معبودَ بحقٍّ إلا اللهُ، ولا تُصرَفُ مظاهِرُ العبوديةِ إلا له وحدَه سبحانه.

٥ـ وجوبُ التوبةِ وطلَبِ العفوِ والمغفرةِ مِن اللهِ تعالى.

٦ـ عظيمُ سَعَةِ رحمةِ اللهِ؛ إذ جعل لعبادِه أسبابًا يسيرةً لحصولِ المغفرةِ والرحمةِ.

٧ـ فضلُ اللهِ على أمَّةِ محمدٍ ﷺ؛ إذ يُعطيها الأجورَ العظيمةَ على الأعمالِ اليسيرةِ، وذلك فضلُ اللهِ يُؤتيه مَن يشاءُ.

وذهب بعضُ أهلِ العلمِ إلى أن هذا المعنى الواردَ في الحديثِ السالفِ هو المقصودُ من قولِه تعالى: {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾} [الطور:٤٨].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الحديث الرابع:

روى التِّرمِذيُّ عن عبدِ الله بنِ عمرَ ﷺ، قال: قَلَّمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُوَ بِهَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ لِأَصْحَابِهِ: «**اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ اليَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا، وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا**»[١].

معاني الحديث:

- «**اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ**»:

أي: اجعَلْ لنا حظًّا ونصيبًا مِن خشيتِكَ، وهي الخوفُ المقرونُ بالتعظيمِ للهِ ومعرفتِه سبحانه، فيكون حاجزًا ومانعًا مِن الوقوعِ في المعاصي والذنوبِ والآثامِ؛ لأن خشيةَ اللهِ هي أعظَمُ رادعٍ وحاجزٍ

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٠٢)، وحسنه الألباني.

للإنسانِ عن الوقوعِ في المعاصي والآثامِ، فالقلبُ إذا امتلأ من الخوفِ أحجَمتِ الأعضاءُ عن المعاصي، فبقدرِ قلةِ الخوفِ يكونُ الهجومُ على المعاصي، وهذا من علاماتِ الشقاءِ.

- «**وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ**»؛ أي: ويسِّرْ لي من طاعتِكَ ما يكونُ سببًا لنيلِ رضاك، وبلوغِ جنَّتَكَ ورحمتِكَ التي أعددتَّها لعبادِكَ الصالحين، وبإعطاءِ القدرةِ عليها، والتوفيقِ لها، فواللهِ لولا اللهُ ما اهتدينا، ولا تصَدَّقْنا ولا صلَّيْنا!

وليست الطاعةُ وحدَها مُبلِّغةً للجنةِ؛ بدليلِ قولِ النبيِّ ﷺ: «**لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الجَنَّةَ**». قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**لَا، وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَلَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ المَوْتَ؛ إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزْدَادَ خَيْرًا، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتِبَ**»[1].

- «**وَمِنَ اليَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا**»: اليقينُ هو تمامُ العلمِ وكمالُه بأن الأمرَ للهِ من قبلُ ومِن بعدُ، وأنه سبحانه يدبِّرُ أمورَ

(١) أخرجه البخاري (٥٦٧٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الخلائقِ كيف شاء، ويقضي فيه بما يريدُ، وأنه لا رادَّ لقضائِه وقدَرِه.

- «**مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا**»: بأن يعلَمَ أن ما قدَّرَه اللهُ لا يخلو من حكمةٍ ومصلحةٍ واستجلابِ مثوبةٍ، فاللهُ لا يفعَلُ بالعبدِ إلا ما فيه صلاحُه، فمَن علِمَ يقينًا أن مصيباتِ الدنيا مثوباتُ الآخرةِ لا يغتَمُّ بما أصابَه، ولا يحزَنُ بما نابَه: {وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠} [المائدة:٥٠]، وكلما قوِيَ اليقينُ عند العبدِ قوِيَ العبدُ على البلاءِ؛ لأن كلًّا من عند اللهِ، واللهُ لا يقضي إلا الخيرَ.

- «**وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا**»؛ أي: بإبقائِها صحيحةً إلى الموتِ مدَّةَ حياتِنا كلِّها، واستعمالِها في طاعةِ اللهِ وحدَه، وإنما خصَّ السمعَ والبصرَ بالتمتيعِ مِن الحواسِّ؛ لأن الدلائلَ الموصلةَ إلى معرفةِ اللهِ وتوحيدِه تحصُلُ بهما وعن طريقهما؛ لأن البراهينَ المأخوذةَ من الآياتِ تكونُ بطريقِ السمعِ والبصرِ.

وسؤالُ القوَّةِ ليتمكَّنَ بها المرءُ من عبادةِ ربِّه، وهي قوةُ سائرِ الأعضاءِ والحواسِّ والقلبِ والعقلِ، وهذا من التعميمِ بعد التخصيصِ.

- «**وَاجْعَلْهُ الوَارِثَ مِنَّا**»: اجعَلْ هذا التمتُّعَ بالحواسِّ والقُوَى باقيًا مستمرًّا، بأن تبقى صحيحةً سليمةً إلى الموتِ، وكان من دعائِه ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ**»[(١)]، وأرذَلُ العمرِ هو المرضُ والعجزُ حالَ الشيخوخةِ والكِبَرِ؛ حتى لا يكونَ حِملًا ولا عالةً على أحدٍ، ولئلا يتضجَّرَ منه أحدٌ.

- «**وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا**»: أصلُ الثأرِ الحقدُ والغضبُ؛ أي: وفِّقْنا للأخذِ بثأرِنا ممَّن ظلَمَنا دونَ أن نتعدَّى فنأخُذَه من غيرِ الظالِمِ لنا، فالمعهودُ مِن أمرِ الجاهليةِ أخذُ الثأرِ مِن أيِّ أحدٍ، حتى ولو من غيرِ الجاني، فيعودُ المرءُ ظالمًا بعد أن كان مظلومًا، قال تعالى: {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ﴿١٦٤﴾} [الأنعام:١٦٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٢٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهذا فيه جوازُ الانتصارِ والانتقامِ من الظالمِ، وأخذِ الثأرِ منه؛ لكن بالضوابطِ الشرعيةِ؛ ولذا شرع اللهُ القِصاصَ والدِّيَاتِ والتعازيرَ بجانبِ الحدودِ، قال اللهُ تعالى: {وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴿٤٠﴾} [الشورى:٤٠]، وقال: {وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٢﴾} [الشورى:٤١-٤٢]، وقال: {وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾} [النحل:١٢٦].

- «**وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا**»: اكتُبْ لنا النصرَ على الأعداءِ، وظَفِّرْنا بهم، وانتقم منهم، وفيه جوازُ الدعاءِ على العدوِّ والظالمِ.

- «**وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا**»؛ أي: لا تُصِبْنا بما ينقُصُ ديننَا ويُذهِبُه من اعتقادٍ سيِّءٍ، أو تقصيرٍ في الطاعةِ، أو الوقوع في معصيةٍ كبيرةٍ أو صغيرةٍ؛ وذلك لأن المصيبةَ في الدِّينِ أعظَمُ المصائبِ، وليس عنها عوضٌ، بخلافِ مصيبةِ الدنيا، فأعظَمُ مصيبةٍ يُصابُ بها

العبدُ أن ينحرِفَ عن دينِ اللهِ بالرِّدَّةِ، أو الإلحادِ، أو الزَّندقةِ، أو النِّفاقِ، أو البدعةِ، أو المعصيةِ.

ولذا يجِبُ على العبدِ أن يحذَرَ مَخاطِرَ دُعاةِ الإلحادِ والبدعةِ والمعاصي على الإنترنت وغيرِه.

- «**وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا**»؛ أي: لا تجعَلِ الدنيا أكبَرَ قصدِنا، فهي مَطيَّةٌ للآخرةِ، ووسيلةٌ إليها، ولا تجعَلْ طلَبَ المالِ والجاهِ أكبَرَ قصدِنا أو حزنِنا؛ بل اجعَلْ أكبَرَ قصدِنا وسَعْيِنا مَصروفًا لعملِ الآخرةِ.

وفيه دليلٌ على أن القليلَ مِن الهمِّ فيما لا بدَّ فيه من المعاشِ جائزٌ؛ بل مستحبٌّ؛ بل واجبٌ.

فلا تجعَلْنا يا ربَّنا مُنهَمِكِينَ في طلبِ الدنيا، واجعَلْ هِمَّتَنا مصروفةً إلى علومِ الآخرةِ وأحوالِها، إلى علومِ الشريعةِ التي تعرِّفُنا بكَ، وتقرِّبُنا منك.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفيه أن كِبرَ الهمِّ بالدنيا سببٌ للهلاكِ، فمَن كانت الدنيا همَّه جعل اللهُ فقرَه بين عينَيْه، وشتَّتَ عليه شَمْلَه، ولم يأتِه مِن الدنيا إلا ما قُدِّر له فيها، فلا يُمسي إلا فقيرًا، ولا يُصبِحُ إلا فقيرًا، ومَن كانت الآخرةُ همَّه جعَلَ اللهُ غناه في قلبِه، وجمع عليه شمْلَه، وأتته الدنيا وهي راغمةٌ.

- «**وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا**»؛ أي: من الكفارِ والظالمين من الحكامِ والمحكومين، ولا من ملائكةِ العذابِ في القبرِ، أو النارِ، ولا مِن شياطينِ الجنِّ وفَجَرتِهم، ولا مِن السَّحَرةِ والمُتَسَلِّطِينَ بالسِّحرِ والمَسِّ، ونحو ذلك[1].

وصلِّ اللهُمَّ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وصحبِه وسلِّم!

آمينَ آمينَ!

---

(١) انظر: «فيض القدير» للمناوي (٢/ ١٧٢- ١٧٣)، و«تحفة الأحوذي» (٩/ ٣٧٩-٣٨١)، و«شرح رياض الصالحين» لابن عثيمين - باب الخوف، و«فقه الأدعية والأذكار» لعبد الرزاق البدر (٣/ ٣١٥-٣٧١).